من بعض وقال في المومنين بعضهم اولياء بعض وذلك لان المنفقين
تشابهت قلوبهم واعمالهم وهم مع ذلك تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى
فليست قلوبهم متوادة متوالية الا مادام الغرض الذي يرومونه
مشتركا بينهم ثم يتخلى بعضهم عن بعض بخلاف المؤمن فانه يحب المؤمن
وينصره بظهر الغيب وان تنائت الديار وتباعد الزمان ثم وصف تعالى
كل واحدة من الطائفتين باعمالهم في نفسهم وفي غيرهم وكلمات الله
جوامع وذلك انه لما كانت اعمال المرء المتعلقة بدينه قسمين احدهما
ان يفعل ويترك والثاني ان يامر غيره بالفعل والترك ثم فعله اما ان
يختص هو بنفعه او ينفع به غيره فصارت الاقسام ثلثة ليس لها
رابع احدها ما يقوم بالعامل ولا يتعلق بغيره كالصلاة مثلا
والثاني ما يعمله لنفع غيره كالزكاة والثالث ما يامره ان يفعله
فيكون الغير هو العامل وحظه هو الامر به فقال تعالى في صفة
المنافقين يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وبازائه في صفة المومنين
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه
الله من الايمان والعمل الصالح والمنكر اسم جامع لكل ما نهى الله عنه
ثم قال يقبضون ايديهم قال مجاهد يقبضونها عن الانفاق في سبيل
الله وقال قتادة يقبضون ايديهم عن كل خير فمجاهد اشار الى النفع
بالمال وقتادة اشار الى النفع بالمال والبدن وقبض اليد عبارة عن
الامساك كما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط وفي قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهي
حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ او مجاز مشهور وبازائه قبض ايديهم
قوله في المومنين يوتون الزكوة فان الزكاة وان كانت قد صارت
حقيقة عرفية في الزكاة المفروضة فانها اسم لكل نفع للخلق من نفع
بدني او مالي فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد ثم قال نسوا الله

فنسيهم

ملك المعروف والمنكر

فنسيهم ونسيان الله ترك ذكره وبازاء ذلك في صفة المومنين
يقيمون الصلاة فان الصلاة ايضا تعم الصلاة المفروضة والتطوع
وقد يدخل فيها كل ذكر الله اما لفظا او معنا قال ابن مسعود رضي
الله عنه ما دمت تذكر الله تعالى فانت في صلاة وان كنت في السوق
وقال معاذ بن جبل مدارسة العلم تسبيح ثم ذكر ما وعد الله به
المنفقين والكفار في النار في الاخرة ومن اللعنة ومن العذاب المقيم
وبازائه ما وعد المومنين من الجنة والرضوان ومن الرحمة ثم في ترتيب
الكلمات والفاظها اسرار كثيرة ليس هذا موضعها وانما الغرض تمهيد
قاعدة لما سنذكره ان شاء الله وقد قيل ان قوله ولهم عذاب مقيم
اشارة الى ما هو لازم لهم في الدنيا والاخرة من الالام النفسية غما
وحزنا وقسوة وظلمة قلب وجهلا فان للكفر والمعاصي من الالام
العاجلة الدايمة ما الله به عليم ولهذا تجد غالب هولاء لا يطيبون
عيشهم الا بما يزيل العقل ويلهي القلب من تناول مسكر او رؤية تلاهي
او سماع مطرب ونحو ذلك وبازاء ذلك قوله في المومنين اولئك
سيرحمهم الله فان الله يحل للمومنين من الرحمة في قلوبهم وغيرها بما
يجدونه من حلاوة الايمان وبذوقونه من طعمه وانشراح صدورهم
للاسلام الى غير ذلك من السرور بالايمان والعلم والعمل الصالح بما
لا يمكن وصفه وقال تعالى في تمام خبر المنافقين كالذين من قبلكم كانوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا وهذه الكاف قد قيل انها رفع
خبر مبتدا محذوف تقديره انتم كالذين من قبلكم وقيل نصب بفعل
محذوف تقديره فعلتم كالذين من قبلكم كما قال النمر بن تولب
كاليوم مطلوبا ولا طالبا اي لم ار كاليوم والتشبيه على هذين القولين
في اعمال الذين من قبل وقيل ان التشبيه في العذاب ثم قيل العامل
محذوف اي لعنهم وعذبهم كما لعن الذين من قبلكم وقيل هو الجود
بل العامل ما تقدم وعد الله المنافقين كوعد الذين من قبلكم ولهم

ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم

Copyright © King Saud University